تصدر عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

السنة الأولى مايو 2009
العـــدد صفر

آفاق المستقبل

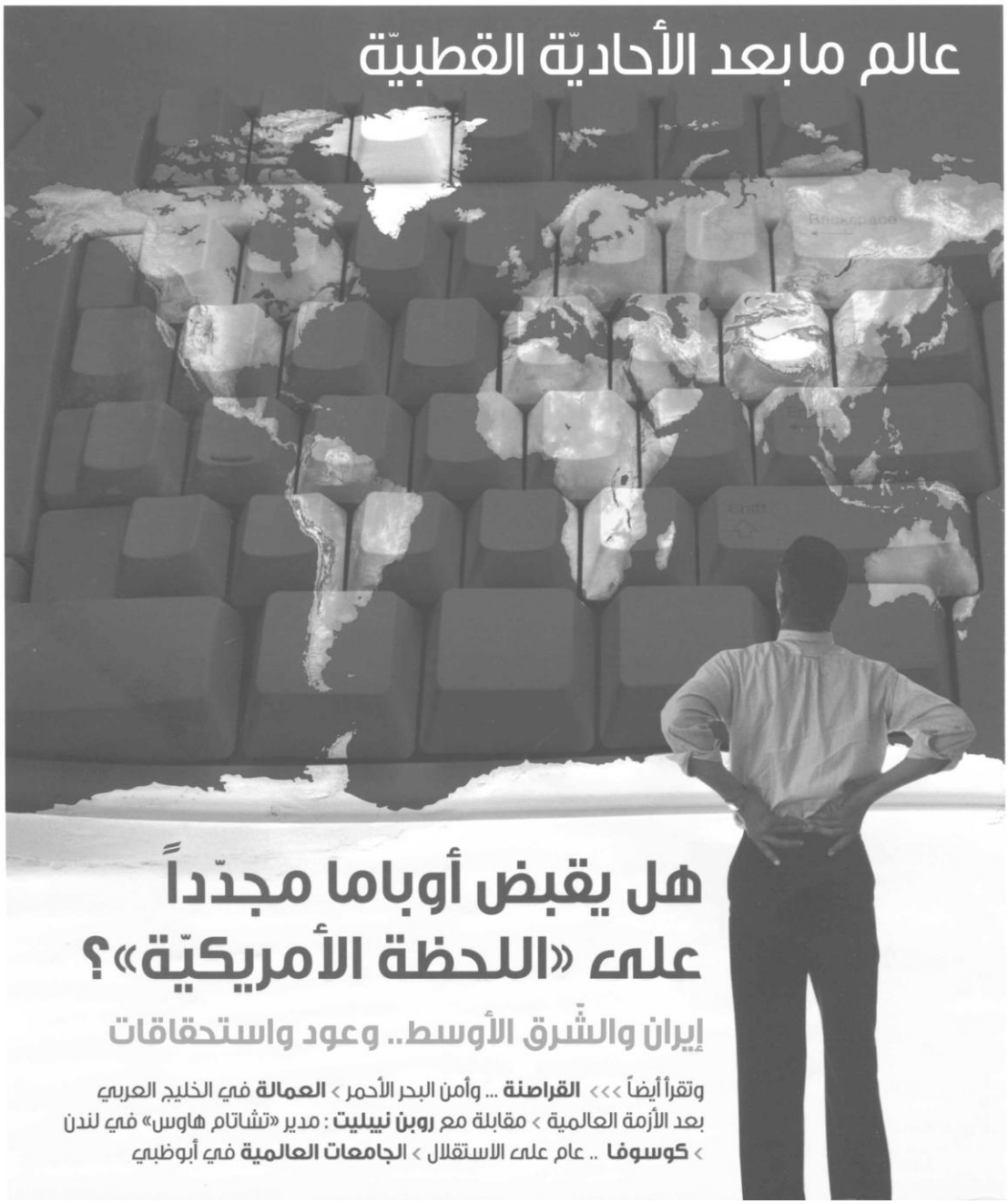

عالم مابعد الأحاديّة القطبيّة

هل يقبض أوباما مجدّداً على «اللحظة الأمريكيّة»؟

إيران والشّرق الأوسط.. وعود واستحقاقات

وتقرأ أيضاً ››› **القراصنة** ... وأمن البحر الأحمر › **العمالة** في الخليج العربي بعد الأزمة العالمية › مقابلة مع **روبن نيبليت**: مدير «تشاتام هاوس» في لندن › **كوسوفا** .. عام على الاستقلال › **الجامعات العالمية** في أبوظبي

فرص ثمينة تنتظره
مستقبل إعلام دبلوماسيّة أوباما العامّة

هذه خلاصة دراسة مفصّلة أشرف عليها المؤلّف لتقويم أداء قناة "الحرّة" الفضائيّة. وإذ يبدو الشّقّ الثّاني موجّهاً لجمهور غربيّ، فهو في الوقت نفسه يسلّط الضّوء على الجدال في الولايات المتّحدة بشأن مستقبل إعلام الدّبلوماسيّة الأمريكيّة العامّة. اللافت للنّظر أنّ الجهة الّتي طلبت إعداد التّقرير تلكّأت في نشر نصّه أربعة أشهر لأسباب سيرد ذكرها في الصّفحات الآتية.

فيليب سيب*

أثير قدر كبير من الجدل حول قناة "الحرّة" التّلفزيونيّة الإخباريّة، النّاطقة باللّغة العربيّة، والتّابعة للحكومة الأمريكيّة، وذلك منذ بدأت بثّها. وعلى وفق التّفويض الرّسميّ الّذي مُنحته يتمثّل دور القناة الّتي انطلقت في فبراير/شباط 2004، في تقديم مادّة صحفيّة تروّج لمبادئ الحرّيّة والدّيمقراطيّة في منطقة الشّرق الأوسط من خلال التّواصل بالأفكار على نحو صريح وبلا معوّقات. ومن النّاحية غير الرّسميّة، يفترض بـ "الحرّة" أنْ تنافس وسائل الإعلام العربيّة، وعلى رأسها فضائية "الجزيرة"، الّتي ينظر إليها المسؤولون الأمريكيّون على أنّها قناة عدائيّة تحريضيّة.

في عام 2007، اعترف "مجلس أمناء الإذاعات الدّوليّة"، وهو الوكالة الفدراليّة الّتي تموّل فضائيّة "الحرّة"، اعترافاً ضمنيّاً بأنّ "التزام القناة معايير البثّ التّلفزيونيّ ومبادئه، الّتي ينصّ عليها القانون الأمريكيّ للبثّ الدّوليّ، كان محلّ شكّ". وأمر المجلس بإجراء دراسة حول محتوى القناة بغرض تقرير "ما إذا كانت قناة (الحرّة) التّلفزيونيّة مصدراً موثوقاً به يزوّد المشاهدين في الشّرق الأوسط بالأخبار والمعلومات الدّقيقة والموضوعيّة والشّاملة، ولتحديد إذا ما كانت تُقدّم سياسات الولايات المتّحدة، وتوفّر فرصة النّقاش المسؤول حول تلك السّياسات، أم لا".

وهكذا كُلّف فريق من الاختصاصيّين تقصّي الحقائق، كان على رأسه صاحب هذه السّطور. وإذ أخضع هؤلاء الباحثون الأخبار الّتي بثّتها "الحرّة"، على امتداد شهر، للتّحليل، فهم عمدوا أيضاً إلى التّداول بشأنها مع آخرين في جلسات نقاش جماعيّة عقدت في كلّ من بيروت ودبي والقاهرة. واللافت للنّظر أنّ التّقرير الّذي خلص إليه الفريق (يمكن الاطّلاع على نسخته الكاملة بزيارة الرّابط (http//uscpublicdiplomacy.org/medi/AlHurraReport.pdf)، لم يُنشر حتّى ديسمبر/كانون الأوّل 2008، مع أنّ المجلس كان قد تسلّمه قبل أربعة أشهر. ولا يستبعد أنّ إرجاء النّشر كان يعود إلى عدم ارتياح المجلس لما اشتمل عليه التّقرير من نقد اعتبر الباحثون أنّ الغاية الأولى منه كانت تقديم تقويم يفيد في رفع مستوى القناة.

خلاصة التّقرير

لكنْ أياً كانت الآراء حوله، فالتّقرير ضمّ نتائج أساسيّة تسلّط الضّوء على واقع عمل الدّبلوماسيّة الأمريكيّة العامّة وآفاق تطوّرها. إذ جاء في أبرز هذه النّتائج أنّ:

- قناة "الحرّة" لا تقدّم ما يكفي من الأخبار والبرامج الّتي أعدّت خصّيصى حول موضوعات راهنة على نحو يستجيب لاهتمامات المشاهدين العرب.
- المادّة الصّحفيّة الّتي تقدّمها "الحرّة" متدنّية المستوى من حيث النّوعيّة، وتفتقر إلى التّوازن والمصادر المناسبة للأخبار، كما أنّها لا ترقى من النّاحية التّقنيّة إلى الدّرجة نفسها من الكفاءة الّتي تبلغها أفضل القنوات العربيّة.

- ارتباط القناة بالحكومة الأمريكيّة يدفع الكثير من المشاهدين العرب إلى التّشكيك في موضوعيّتها، خاصّة أنّ تغطيتها الإخباريّة تميل إلى وجهات النّظر المؤيّدة للغرب أو المعادية للعرب.

- القناة تسرف في اعتمادها على المصادر الرّسميّة في القضايا الّتي تهمّ عموم الجماهير العربيّة، وذلك كما أشار المشاركون في جلسات النّقاش الجماعيّة.

لكنْ من يدري تماماً كيف سيؤثّر هذا التقرير، وغيره من الانتقادات الموجّهة إلى قناة "الحرّة"، في الدّبلوماسيّة الأمريكيّة العامّة ولا سيّما عناصرها

المتعلّقة بالبثّ. وعلى الرّغم من أنّ إدارة الرّئيس الأمريكيّ الجديد، باراك أوباما، أعطت بضعة مؤشّرات على الكيفيّة الّتي تريد صياغة استراتيجيّتها للدّبلوماسيّة العامّة بها، فمن المفترض أنّ هذه الإدارة تدرك جيّداً أنّ المساعي الأمريكيّة الأخيرة في مجال الدّبلوماسيّة العامّة في العالم العربيّ لم تحقّق النّجاح المنشود. ولكنّ تغيير الإدارات لا يضمن بالضّرورة حدوث تغيير جوهريّ في اتّجاه الدّبلوماسيّة الأمريكيّة العامّة. والمطلب الملحّ الّذي يواجه إدارة أوباما حاليّاً هو أنْ تُظهر استعدادها للتّخلّي عن الحكمة التّقليديّة، والتزامها اعتناق الابتكار الّذي يؤدّي إلى التّجديد.

جوهر المشكلة

بدءاً، يجب إدراك الضّعف الأساسيّ في المفهوم الّذي قامت عليه فضائيّة "الحرّة". فالمرحلة الحاليّة لا تشبه مرحلة الحرب الباردة، عندما كانت الولايات المتّحدة تستغلّ تلهّف المشاهدين في أوروبّا الشّرقيّة لسماع الأخبار من مصادر غير سوفييتيّة. فالجمهور العربيّ مرتاح هذه الأيّام للمحطّات والقنوات العربيّة الّتي تزوّده بالأخبار. ولذا، لا يوجد سبب كاف لدى هذا الجمهور للتّحوّل إلى قناة إخباريّة خارجيّة من الدّرجة الثّانية، لاقتناعه بأنّ تلك القناة تهدف إلى التّلاعب به. وبسبب هذا الصّدع في المنطق الّذي أنشئت "الحرّة" بموجبه، من المناسب التّفكير على الأقلّ في ما إذا بات من الضّروريّ إغلاق القناة.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أنّ القنوات الأمريكيّة ليست مصدر الإخبار الخارجيّ الوحيد، الّذي يعاني تشكيك

تلفزيونيّة مثل "بي بي سي" العربيّة، و"روسيا اليوم"، و"فرانس-24"، و"دوتشه فيللا"، وغيرها قد تقدّم خدمة إخباريّة احترافيّة باللّغة العربيّة. لكنْ من الصّحيح أيضاً أنّه عندما تشنّ إسرائيل هجوماً على حركة "حماس" في قطاع غزّة مثلاً، أو حين يقع حدث كبير آخر في المنطقة، فإنّ الكثير من المشاهدين العرب يرغبون في متابعة أخبار هذا الحدث أو ذاك كما يقدّمها إعلاميّون عرب. وبرغم أنّ هذا الخيار لم يكن متاحاً منذ سنوات قليلة مضت، فقد ظهرت الكثير من القنوات الإخباريّة العربيّة منذ أواسط التّسعينيّات في القرن الماضي.

حضور تلفزيونيّ

إنّ إنهاء عمل قناة "الحرّة" لن يعني، بأيّ حال، التّخلّي عن موجات الأثير في منطقة الشّرق الأوسط، إذ يتعيّن على "مجلس أمناء الإذاعات الدّوليّة" الاستمرار في توفير محتوى تلفزيونيّ وإلكترونيّ للمنطقة، ولكن بطريقة مبتكرة بقدر أكبر يعزّز حظّها باجتذاب الجمهور.

والحال أنّ هذا الجمهور الموزّع في أنحاء العالم العربيّ لا يزال يبدي اهتماماً شديداً بالولايات المتّحدة، ويتطلّع إلى معرفة المزيد عن الشّؤون الأمريكيّة، بما في ذلك الحرّيّات والثّقافة والحياة اليوميّة. وربما تقبّل هذا الجمهور باهتمام معالجات رصينة لمثل هذه الموضوعات إذا جاءته من برامج أمريكيّة "مستقلّة" تتمتّع باحترافيّة عالية.

ولذا، ينبغي تخصيص الأموال كلّها، الّتي تُنفق حاليّاً على قناة "الحرّة"، أو بعضها، لتمويل مجموعة من

> "إنّ إنهاء عمل قناة "الحرّة" لن يعني، بأيّ حال، التّخلّي عن موجات الأثير في منطقة الشّرق الأوسط"

> "من المفترض أنّ إدارة أوباما تدرك جيّداً أنّ المساعي الأمريكيّة في مجال الدّبلوماسيّة العامّة في العالم العربيّ لم تحقّق النّجاح المنشود"

> "يتعيّن علينا إدراك الضّعف الأساسيّ في المفهوم الّذي قامت عليه فضائيّة "الحرّة"، فالمرحلة الحاليّة لا تشبه مرحلة الحرب الباردة"

غرار برنامج "60 دقيقة" - بشكل يجعل القنوات العربيّة تُقبل على شرائها وبثّها.

ومن الخطوات الأولى الّتي ينبغي اتّخاذها في هذه العمليّة عقد اجتماعات لممثّلين عن الحكومة الأمريكيّة مع المسؤولين عن "إم بي سي" و"الجزيرة" و"إل بي سي"، وغيرها من القنوات التّلفزيونيّة النّاطقة باللّغة العربيّة في الشّرق الأوسط (فضلاً عن إجراء لقاءات مع مندوبين للحكومات الّتي تمثّلها تلك القنوات). والغاية من هذه الاجتماعات الأوّليّة هي طمأنة الجانب العربيّ إلى أنّ البرامج الّتي ستُطرح فور تعاقد "مجلس أمناء الإذاعات الدّوليّة" مع شركات الإنتاج، ستستند إلى سياسة تحريريّة مستقلّة.

فالشّركات الإعلاميّة في الشّرق الأوسط تتعطّش، شأنها شأن غيرها من شركات البثّ التّلفزيونيّ في العالم، للحصول على برامج تلفزيونيّة جديدة. ولذا، فمن المنطقيّ أنْ يتوقّع المرء توافر الفرص لبيع هذه البرامج. وسيقوم "مجلس أمناء الإذاعات الدّوليّة" بمراجعة دوريّة لعمل شركات الإنتاج الّتي سيتعاقد معها للتّأكّد من أنّ ما تعدّه من برامج يؤدّي مهمّة التّعبير بدقّة عن القيم والسّياسات الأمريكيّة. وإنّ الرّغبة في الحصول على المزيد من عقود الإنتاج ستكون حافزاً لهذه الشّركات على الاجتهاد لبلوغ الغايات المرجوّة.

وبدلاً من محاولة التّنافس المباشر مع قناة "الجزيرة"، ينبغي لصانعي سياسات البثّ الأمريكيّة وضع استراتيجيّة للتّعاون الوثيق مع الصّحفيّين العرب الّذين يقومون بتغطية أخبار الولايات المتّحدة لمشاهدي قنواتهم المحلّيّة. وتوجد اتبعتها بريطانيا للتأثير في الرّأي العام الأمريكيّ ما بين عامي 1940 و1941. ففي تلك الأثناء، لم تركّز حكومة ونستون تشرشل على استخدام قناة "بي بي سي" للتّرويج للسّياسة التّدخّليّة بين الأمريكيّين فقط، بل عمدت إلى تشجيع صحفيّين أمريكيّين من أمثال "إدوارد آر. مارو" على تغطية الأحداث أيضاً. وشارك رئيس الوزراء الأسبق بنفسه في هذه العمليّة الّتي حقّقت نجاحاً كبيراً. فقد تلقّى الجمهور الأمريكيّ صوراً تلفزيونيّة متتابعة دفعته إلى التّعاطف مع البريطانيّين الرّازحين تحت الحصار، الأمر الّذي ساعد على تفنيد وجهات النّظر الانعزاليّة الّتي كانت تعرقل تدفّق المعونات الأمريكيّة إلى بريطانيا، ما كان يعوّق مجهودها الحربيّ.

واللافت للانتباه أنّه كان للحكومة البريطانيّة ما أرادت من هذه الاستراتيجيّة الإعلاميّة الّتي رمت إلى تغيير آراء الأمريكيّين حول الحرب في أوروبّا. وكما كان الأمريكيّون آنذاك مستعدّين لتصديق قناة "سي بي إس" الإخباريّة الأمريكيّة أكثر من قناة "بي بي سي" البريطانيّة، فإن العرب حاليّاً ميّالون إلى تصديق قناة "الجزيرة" العربيّة أكثر من قناة "الحرّة" الأمريكيّة.

التّطلّع نحو المستقبل

إلى جانب التّفكير في احتمالات صياغة الإدارة الأمريكيّة الجديدة الجهود الإعلاميّة في مرحلة ما بعد قناة "الحرّة"، هناك قضايا كبرى في مجال الدّبلوماسيّة العامّة تستحقّ الدّراسة. فغالباً ما كانت الدّبلوماسيّة الأمريكيّة العامّة تنطوي على بعض أشكال الإمبرياليّة الثّقافيّة الجديدة، والسّلوك ضمنيا بالقول لقد فهمنا الطريقة الّتي تفكّرون بها، وسنقوم الآن بصياغة آرائكم تجاهنا". وكما أشرنا سابقاً، فإنّ هذا التّوجّه صادف عقبات في السّابق. ولذا يتعيّن على الدّبلوماسيّة الأمريكيّة العامّة في المستقبل أنْ تكون أكثر إبداعاً وتجديداً بكثير، وأنْ تعتمد بصورة أكبر على الإعلام الإلكترونيّ الّذي يبثّ عبر شبكة "الإنترنت"، نظراً للزّيادة المطّردة في أعداد مستخدمي الشّبكة العنكبوتيّة في العالم العربيّ. وتتمثّل قوة "الإنترنت" الكبرى في سماتها التّفاعليّة، الّتي ينبغي أنْ تكون أساس الدّبلوماسيّة العامّة، ولا سيّما أنّها تعني التّواصل الحقيقيّ في كلا الاتّجاهين بدلاً من التّعويل على توصيل مُنتَج ما من طرف واحد فقط. وهذا سبب آخر للقول إنّ قناة "الحرّة" تتّبع نهجاً بات غير مناسب للسّياق التّاريخيّ.

وتتمثّل الرّسالة الّتي ينطوي عليها تقرير تقويم محتوى قناة "الحرّة" الإخباريّة في أنّ فرصاً وفيرة ستتاح للولايات المتّحدة إذا اختارت تجاوز مرحلة قناة "الحرّة". وربما تكون إدارة باراك أوباما، الرّئيس الأمريكيّ الجديد، مستعدّة للانقطاع عن الماضي، وصياغة المستقبل بطريقة خلّاقة.

---

* أستاذ الصّحافة والدّبلوماسيّة العامّة، وأستاذ العلاقات الدّوليّة، في "جامعة جنوب كاليفورنيا". ألّف كتباً عدّة منها واحد بعنوان "تأثير الجزيرة: كيف تعيد وسائل الإعلام العالميّة الجديدة تشكيل السّياسة العالميّة"؟